كتاب الإثم والبراءة
السيدة الخضراء

سـفر

أبدأ رحلتي الأولى نحو امرأة تتقطر عشقـًا وأنا طفل
أجري خلف نثيث الثلج الأبيض
فوق الأوراق الخضراء المضفورة بعصير الشمس الصفراء
وأضحك من لغة القلب الخرساء الطفلة
أتبع قافلتي نحو الأرض العريانة والعطشانة للموتى
من أمثالي الفقراء
فهل تأتي سيدتي في هذا الوقت من الليل؟
أدق على أبواب الريح
وأسكن في قلب الورق الناحل
والضحكات الباردة الجوفاء لعل الريح تجيب
وترتج الغرفة حولي بالزينة والأضواء
ولكن الريح المعلولة تأتي
ويفر الفجر الناحل عن عيني بعيداً
والأشجار الرابضة أمام النُزْل المعتم
تنحل طيوراً
وعصافير
وأبقى في داخل قبوي المعتم
أتلمس شيئـًا أكتبه
في هذا الوقت من الليل
تغيب الأطيار – بعيداً – في فلوات الأرض
ويهرب ظل منتظر لامرأةٍ..
تتآكل بالحب
ويأكلني الشبق التنيني الجامح
أتداخل في نفسي شيئـًا.. شيئـًا
جرح يتفتح مثل الورد النائم خلف ظلال الوقت
ويغزو جسدي
هل أبكي؟

لكن من يسمعني في هذي الوحدة؟
والهدأة قاتلة كالمنفى ؟
أتشاغل بورود الجرح
وبوح الورد
وأملأ بعض الكاسات الكسلى
لكن الوقت يمر ويسحقني..
كامرأة تتفتت عشقـًا
بين يديَّ
ويعروها زبد مهتاج نافرْ
ها إنّي منتظرٌ
كالظل الواقف فوق جدار الشرفات الناحلة
وأراقب خطواً يأتي من طرقاتٍ أخرى
لكن الوقت يمرُّ
والساعة فارغة..
تعلن في استرخاءٍ عن قرب الليل الدّاهم
والأضواءُ الآتية على زهر الثلج الأبيض
تنشق حصانـًا أبيضَ
يحمل مكتوبـًا من سيدتي
أتصلب في وقفتي المصلوبة
ثم أفض رسائل تحملها الريح
ويرسلها البرق المتواتر حولي.
[أين الطريق إلى حيث يسكن النور].

الياقوتة

سيدتي في البهو الفرعوني تداعب ملكـًا
وأنا طفلٌ
أتدثر في أسمالٍ باليةٍ
أخرج في الليل وحيداً

أتمشى فوق جسور الترعة علِّي أقطف بعضـًا من أزهار الصبير
نباتات الفل البري تداعبني
وتطاردني
تتحلق حولي وتغازلني
لكني أمشي...
وأدوس على قطرات الثلج المنثور بأطراف
العشب الأخضر
كإلهٍ في وادي النور
تسابقني الريح وأسبقها
وفراشات الحقل البيضاء الحمراء الصفراء
تخيط قميصي
أتدثر بفضاءٍ فجريٍّ لعشيبات الحناء الخضراء
وأرسم بعضـًا من أحلامي
بحبيبات الدم النازف من كل خلايا جسدي المسفوح
على حبات الطين العطشى
هل شاهدني ظلي
وأنا أتفيأ داخل قلبي
مثل صبي يتكور في حضن فتاةٍ ضاعا
في طرقات الزمن المرِّ
وغابا عن عين الأهل طويلاً
ظلي يتغافل عني
وأنا أتكاسل عن ظلي
هل عادت سيدتي من البهو الفرعوني الآسر؟
تشتد الريح
ويتوجع في داخل أضلاعي قلبي
يتكسر مثل الأشجار المصروعة في يومٍ عاصف
أتهيأ للصحو وللنوم
يراودني شكل امرأة
تتأرجح ما بين الصحو وبين النوم فأغفو

فوق فراشٍ يتوقد بالثلج
ابترد الوقت طويلاً
ها إن الساعة آتية لا ريب
كم يبعد هذا الفجر عن الليل؟
وكم يبعد ليل الزمن المتوحش عن آخر أطراف الفجر؟
تتمسح بي هرة
وتموء كذئب بري يعوي في صحراء الصيف
ابتعدت أخر عربات الغجر الرُّحل عن طرقات العشب
انعصر الصمت المتخشب فوق دهاليز الوقت النافر
وابتدأت سيارات الجند
تعود لمخبئها
ساكنة
ها إن القاتل قد فرّ
وعصفور الأيكة قد طار إلى عتبات النور لكي يتغسل بالظل
الساقط من أرباض الشمس
وينعس قرب فراشات الحقل
ينقّر حبات التوت البري
ويجري خلف يمامات الدغل
الغائم فوق جسور الترع المغسولة
بالطل الهاطل
من عليين.
[اجعلني كخاتمٍ على ساعدك لأن المحبة قوية كالموت].

وصل

اشتدت دورات الريح العاصف
واهتز النخل الواقف كوريقات خريفٍ أصفرَ
لم يبق إلا أن ترحل
أو تنسى هذا الحب الغلاب القاهر فوق جدارات القلب الأبيض

طفل يتساند قرب جدار يساقط
وامرأة تنزل دغل البوص الأخضر
تكشف عن ساقيها
تصطاد السمك البري المتوحش..
ها هي تدغل في الريح الهوجاء
فتلتف بها
تغريها أن تركض في بحرٍ لجي
تتنزل فيه الشمس
ويرتاح الرمل المصقول على زرقة أمواج البحر
الجسد النافر يعلو يفرّ
الشعرُ الليليّ المحلولك يتطاير عبر رذاذ الماء الأزرق
تتعلق حبات الشمس الحمراء
بحبات الزبد الأبيض
فوق الجسد البحر
فتكشف عن سر السر
آهٍ...
هل عادت سيدتي من غارتها الليلية بعدُ
اندلع الفجر
وها هي خيل الرغبة
ترقص فوق خلايا الجسد المسنون المتوقد
تستنفر
أغوار العشق الدوار بقلبي
وتلملم حبات القمح المبذور بأحراش الحقل
الممدود
على شرفات اليم الغارق
فوق نخيل الصيد.

[مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة
والسيول لا تغمرها].

امرأة

الريح تلاقحها الريح
وها هي أفراس الضوء تحمحم عبر ممرات جبال الصهد
فتركض أو
تتراكض خلف نداءات العشق المسنون
بحمأٍ من تسنيمٍ
وتقطِّع أميال الشهوة
بحوافز يحدوها شرر يتطاير كالزبد المربد
على ساحات الأفق الممتد
لماذا لم تأت سيدتي بعد؟
نُزُلٌ من أقمار هابطةٍ من قرب عباءات الظلمة تلتف حوالي
تكاشفني وأكاشفها
أفتح بابي..
مَنْ؟؟
سيدة الضوء المبهم
والأفراس البراقة تحت عشاش الزهر الليلي النائم
والسفن المبحرة – أخيراً – نحو جبال الله المبثوثة في قلب الأرض؟
مَنْ هذى النائمة بقلبي؟
مَنْ؟
امرأة الزهر الليلي تعانق آخر أطراف الأرض
وتركض نحو المجهول بعيداً
بينا أتقرى جسدي
بقعـًا
من أطرافٍ غامقة اللون
أغنى..
أتباطأ في الخطو
أصفِّر...
للريح المصفرة أن تأتي

هل تأتي الريح السواحة
تغزل ثوبي
وتحيك مواجيدي سمكـًا يتقافز بين الأشرعة البيضاء
لسفن الصيد الغارقة هنالك في الميناء؟
آهٍ...
لو تأتي الريح الآن
وتأتي سيدتي مثقلة الخطو
تدق على بابي المنعزل النائي...!!
هأنذا
أتساقط كوريقات التوت الأصفر إبان خريفٍ مجنونٍ
أتعرى قلبـًا
يتطاير صدري مزقـًا مزقـًا
هذى سفن الضوء – النافذِ – تبحر من كل كريات دمي ناحلةً
صفراءَ
ومفعمةَ اللونِ
أحاول أن أسترجع شيئـًا لامرأة الحزن الغامق
والصدر الجبلي الشاهق
لكنى لا أتذكر إلا وجهـًا كالطفل النائم
تحت شجيرات الحنطة
في ليل الصيف المخنوق العاري
ضفدعة تنقر أثداء الوقت الساكن
كهل يتوكأ فوق عصاه قبيل صلاة الصبح
امرأة يتعاطاها بعض رجال الدرك الساهر
خيل تصهل قبل صياح الديك
وقبرة
تنتقل جامحةً
بين وريقات البوص الفجري السامق
وتلامس أطراف الماء المثقل بالتطواف
نواطير القش

تجمِّع ديدان الحقل
وترقص إبان الهدأة من غسق الليل
الوقتِ المغسول برشات العشق
بلاد تتجاذب ثوب محبتها
آسرة هذي السيدة المجنونة..!!
آسرة هذي السيدة المجنونة
لكن
هأنذا أتعبني النوم
وأوجعني سيل التذكاراتِ المحمومِ
أجمِّع تذكاراتي
واحدةً
واحدةً
وأفرق تذكاراتي
واحدةً
واحدةَ
من ينقذني؟ وامرأة الأصداف الليلية والأوراق الدكناء؟!
أحاول أن أسترجع بعضـًا
من أشتات وجوه
تتقاذفها حيطان الوهم العالي.

[أنا لحبيبي وإليَّ اشتياقه تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبت في القرى لنبكرنَّ إلى الكروم ولننظر هل أزهر الكرم؟ هل نور الرمان؟ اهرب يا حبيبي اهرب وكن كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب].

ترنيمة لسليمان الملك

وجه لسماء الصيف
نجيمات تتعلق في خيمة بللور أزرقَ
قلب ملاك يتدلى من تحت العرش الكوني

ويهبط كإله الصيد
على عشب الأرض المسترخي في حالة سكرٍ
وجه ليمام البر
ينقِّل خطوته الأولى
فوق تراب الطرق الريفية
والشجر المتكاشف يتطاول يتحاضن
يمتد
ويترامى
أفقـًا من بُسط
يفرشها الوجه المتطامن لصبيٍّ يلهو في كومة رملٍ
يرسم وجه حبيبته الأولى
بيت الرغبة والنشوة
والموت
امرأة تتغامز ليمام البرِّ
تطارده
فيطاردها
ثم يصاحبها في نوبة ريحٍ عاتٍ مجنونٍ
رجل قطَّع أشجار الحنطة واللوز
وراح يتابع رحلتها في يوم شاتٍ مذهولٍ
ها هي ريح تدخلني وتؤاخيني
وأنا
أدخلها وأؤاخيها
أركب نحو مدائنها سفنـًا من نخلات الضوء
وأسرج خيلي واحدةً
واحدة
نحو بلاد الرغبة
استوقد نار الله ونار العشق
ولكن البلد بعيد
والطرقَ المدخولة آهلة

بالركبان
ابتدأ الزمن الصعب الآن
وأجناد الأرض
يمرون سراعـًا
نحو الهاوية المفجوعة لرحيلٍ لم يبدأ بعد
سراةُ الوقت يمرون
خفافـًا
نحو طواحين الموت
وأعراس النشوة آتية من غور الصبوة
عبد الله استشهد في حب امرأة
لم يرها من قبل ولم يسمع عنها
لكن الحلم آتاها تحت النخل وفاجأها
الأفق اللامحدود بأصلاب الكون
كانت تنظر نحو النور الصاهل من أجناب الأرض
اهتز النخل
انفرط الرطب الحلو
انفلتت كل عصافير الوقت تزاحم أشجار السنط البري
وتنقر في حبات التوت المسجور على جسد الأرض الناحل
هل شاهد عبد الله الرؤيا؟ هل شاهد
واسترق السمع؟؟

[ليت كلماتي الآن تكتب يا ليتها رسمت في سِفر ونقرت إلى
الأبد في الصخر بقلم حديد وبرصاص].

مُليْكة

مُليْكة هذي الجنية تختال على شرفات القلب
تغادر مرفأه
تاركة سفنـًا

من جصٍّ
وقواريرَ
وتنزل في أحراش الغيم
تكاشف أحجار الضوء المسنونة بتراتيل الوجد
تعرِّي بدنـًا
كانت تملؤه سحب النوار الراكضة هنالك خلف تصاوير الغيم
هل شاهد عبد الله الرؤيا؟
هل شاهد..؟؟
كان البحارة يغترفون الضوء
وينتشلون الغرقى من أنياب البحر
آهٍ ها هم...
ينتشلون الغرقى من أنياب البحر النهاش القاسي
ثم يعودون فرادى
في زمن النوة والنوء يعاندهم
شوق غلاب للوحدة والترحال طويلاً فوق الزبد المهتاج
وها هي آخر أسماك القرش تعاندهم
وتطرز أطراف الماء المتقلب
بالدم المخبوء بأعماق اليم
تفر بعيداً
وتساومهم
كانت سيدة تطفو فوق النجم الأزرق
والموج..
وتضحك للبحارة
فابتسم البحارة للأمطار المتزاحمة تلامس أطرافَ البحر
ولكن السيدةَ ابتعدت... وابتعدت...
طاردها البحارة
كانت سفن تركض
وفراش يتوافد
ونجوم تلمع

فوق ضبابٍ شهواني أخاذٍ
فابتعدت
وابتعدت
وابتعدت...
حتى أخفاها الموج وغيبها بين ذراعيه
انتفض البحارة
وانقلب البحر
وعاندهم وقت مقهور قاهر
لكن على الشط الآخرْ
كان هنالك عبد الله
انتظر البحر طويلاً
وانتظر الغيم طويلاً
وانتظر النجم الرابض في أدغال السحب الدوامة
خلف طواويس الصمت
فهل تأتي سيدتي بعد؟
استضحك بعض البحارة وانكشفوا...
بلل عبد الله القلب بأكياس الدمع
هل تشرب شيئـًا في هذا الوقت من السكر؟
لا...
حدثنا كيف رأيت الدنيا؟
واسعة كعيون الطفل
وضيقة
كالقبر المنسد.

[ما أجمل رجليك بالنعلين
دوائر فخذيك مثل الحلي سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب
ممزوج بطنك صِبَّرة حنطة مسيجة بالسوسن
ثدياك كخشفتي توءمي ظبية عنقك كبرج من عاج
عيناك كالبرق

رأسك عليك مثل الكرمل
وشعر رأسك كأرجوان
ملك قد أسر بالخصل]

استند الصيف على جذع النخل
وغابت أقمار الليل
وها هي آخر أسراب النمل تغادر مخبأها الشتوي
وترحل في زي ملكي نحو الأوراق المزدانة بالورد
تقاطع في رحلتها البرية أسراب الطير
امتلأ الوقت دخانًا
وانسدت أبواب الدنيا
نافذة تتفتح في أبراج الوقت
وشباك لمليكةَ إذ تتوجه صوب البحر
وتسترخي فوق شواطئه المبلولة بالأصداف
وتضفر في وحدتها شعر ضفائرها المحلولة
ثم تخايلها ريح آتية من جزر الشرق!!
مليكةُ
ها هي ريح العشق تخايلني ثم تهبُّ
وأنا كهلٌ
أتعبني التجوال على طرقات الصخر
غنيت طويلاً لم يسمعني أحد من قبل
آخيت كثيراً ما بين الغيمة والغيمة
لكن مليكة تتأبى
وتعاند في رحلتها أن تبدأ
والمركب واقفة
والريح مواتية
وعصافير الغيم تلملم أذيال النوم
وترفل في حللٍ من زهر أبيضَ
تسبقها رائحة الليمون المخضر

ويحرس كوكبها
طير من نُزُلِ الصيف الشمسيِّ
أجراس صلاةٍ تتعالى في دهليز الصمت
ويسمعها عبد الله
فتهتز الأيكة والسُّرر المفرودة فوق ممرات القلب
مليكة لم تأت بعد
وعبد الله صبيـًا كان
وحين دعته الريح على مائدة الشمس
وغمَّس ماء البحر طفولته
كان يجمِّع حبات التوت ويمشي في طرقات الأرض
التمّ – عليه – الناس وطعموا
صلوا للغيمة كي تنزل
فوق الأرض العطشى
والمطر الدفاق يهل ويغرق أجران الملح النابت فوق تضاريس
الزمن
الخائخ
والمحشو بأنياب الجوع
الصاهل من عشب الصخر.

[ما أجملكِ وما أحلاكِ أيتها الحبيبة باللذاتِ]

انتظر طويلاً عبد الله
ولكن مليكة كانت جنيه
أخذته بين ذراعيها لفته..
في ثوبٍ كتانيّ أبيض
ثم دعته
لمرافئها المجهولة في أعماق البحر
استضحك عبد الله هناك على جزر المرجان المضفور بريق الخمر
استلقى – عبد الله – وشاهد حبات اللؤلؤ
إذ تتكور

في نُزُلِ الرؤيا والسر
سألته مليكة:
هل يذكر عبد الله الصيفَ
وحباتِ العنبِ الأخضرِ إذ تتكوم فوق عشاش الطير النوام
على سرر الليل؟؟
وإذ يلهو بطفولته
مزهواً بنباتات الحناء الراكضة على جنبات النهر؟
وماذا عن أعواد الكتان المعقود
بتاج الزرقة واللون؟؟
وها هو يلهو
يتصيد أسماك الدغل
ويلقي بطفولته قرب فراشات الحقل ويجلس تحت الأشجار السامقة
هناك على عتبات الضوء
يكلم بعض عصافيرٍ تهجر
أفراس الحزن المنقوش بداخل بوابات القلب
يداعب سنارتَه
هل تأتي أسماك الماء حواليه؟
هل تغمزُ؟
ها هو
يغرق في سِتر الوحدة ثم يعانق نشوتَه
منشداً لمليكة
هذي الجنيةُ من يفاجئوها في هذا الوقت من الليل
ويركب صوب مراتعها خيلاً
من ضوء محمومٍ؟
من..؟!
يدخل أرباض قبيلتها ومرابعها؟
لكن كلاب الصيد تهش
وينقِّر ذبان الوقت جناحيه
ويغزو عبد الله المربع

ها هي ريح نيئة رطبةْ تعدو... تعدو... تعدو
وتمر خفيضـًا فوق الرمل المستوحش
ثم تعد الحبات
وتغرس ما بين الرملة والرملة شجراً من أيكٍ مخضراً
وتخطط نهراً لمياه الغيم
وتهبط في نُزُل الضوء لكي تعبر صوب حبيبته.
[قامتكِ هذه شبيهة بالنخلة وثدياكِ بالعناقيد ورائحة
أنفكِ كأجود الخمر]
كانت سيدةٌ من ذهبٍ ولآلئ تعبر
ومياه تتراقص فوق نبيعات الفضة
ثم تحلُّ السيدة – العابرةُ – ضفائرَها
وتفك رباط قميص النوم
وتخلع نعليها
ينفرط الثوب المحموم يعري بدنـًا محمومـًا
ويكشِّف مدنـًا تملؤها أصداف اللؤلؤ
ياقوت من جنات الصحو يفر
واحدةً
تلوى الأخرى
ثم يكور حبلاً من نورٍ حول الصدر العاجي
وينسج متكأً
لضفائرها اللينة الفحماء
المتكسرة على – الجسد البحر –
فتسبحُ
يتبعها الماء
وتترجرج أجزاءُ الجسد البضِّ كزهرات اللوز القطني
وحين تلامسها الريح السيالة
تستضحك للماء
وتكشف عن سِنَّتها للشمس اللينة الرخوة

تستضحك لطفولتها
يأخذها شوق يخلبها إذ...
تتثنى فوق كريات الرمل الناعم يحضنها ويؤاخيها
ثم يهدهد أقدام عصافيرٍ تتبعها
وفراشٍ
يقفو خطوتها
واحدةً بعد الأخرى تأخذ سنتها الشمس
وتعطيها وجداً كالجمر
وتبحث عن رجلٍ لم يخلق من قبلُ.

[وحبيبي أبيضُ وأحمرُ معلم بين ربوةٍ رأسه ذهب إبريز قصته مسترسلة حالكة كالغراب عيناه كالحمام على مجاري المياه مغسولتان باللبن جالستان في وقبيهما خداه كخميلة الطيب وأتلام رياحين زكية شفتاه سوسن تقطران مراً مائعـًا يداه حلقتان من ذهب ومرصعتان بالزبرجد بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق... ساقاه عمودا رخامٍ مؤسستان على قاعدتين من إبريز].

وجد

أيلٌ يتريض قرب سواسن ظلّ
غيم يخرج عن دائرة الغيم
سماء
تمطر أفقـًا من برقٍ
يتحلق قرب نجيمات الحلم
امرأة تتربص بالشمس وتركض في منحيات الزرقة والأسر
هل شاهد عبد الله الرؤيا؟
ها شاهد..
واسترق السمع؟
هل شاهد وانكشف السر؟

كانت سيدة الزمن المثقل والخطو المثقل
تتنقل ما بين الظل وبين الظل
وتكشف عن ساقيها
زبد يتطاير من أفق البحر
ويغسل أشرعة السفن هنالك في الميناء
انفتح البرزخ
وارتطم البحران
فهذا عذب وفرات
والآخرُ ملح أجاج
وهاج
هدأت واستلقت فوق أريكتها الخضراء
وراحت تنظر نحو السقف المبهم والغيم المبهم
ثم تغادر رحلتها صوب الشطآن المجهولة
والخلجان الأخاذة
لنهارٍ
يتعلم كيف يفجُّ من الليل المرصوص
على سِندان الظلمة
والوقت
أرخت لليل ضفائرها
ضجت موسيقا الوحدة
والغربة
وانكشفت في سجن الصمت سماوات الصبوة
راحت تبكي أشجار السنط البري الواقف فوق حواف الترع
العطشانة
والكافور المتصاعد نحو سحابٍ
لم يسق بلداً ميتـًا
من قبلُ..
اهتزت بالرقص المتخافت سألت:
إن كان الفجر قريبـًا من شرفتها؟

أرخت لليل سحابتها الدكناء
وراحت تقرأ كي تطرد أشباح النار الشتوية
لكن البرد هنا قاسٍ
والثلج ينزُّ
ويتكاثف
شيئـًا
شيئـًا
يغزو هدب أسرتها
يتعلق طير مصلوب فوق شجيرة بلوطٍ عطشى
لفات دخانٍ لم يبلغ حد نداءٍ محمومٍ بعد
وها هي تتعلق ما بين الغرفة والسقف
تحاول أن تسترجع شيئـًا مما فات
ولكن الوقت يمر بطيئـًا
كالساعات الأولى
لرحيلٍ ممرورٍ وبطيء
ها هي بعض نداءات الصبوة
تغزوها رجفة
موتٍ مستترٍ
تتعلق عيناها بامرأة الضوء الساقط
وتحاول أن تتوالد من خلل النوة والنوء
وتكشف للشمس طريقـًا
لانَ كأعواد الحنطة إذ تتمايل في وقفتها من جرَّاء الريح
اللينة
الرخوة
لكن الباب تفتح فجأة
وانزاحت جدران الغرفة واتسعت حتى وسعت أفقـًا / بحراً
يمتد ويترامى نحو اللامنظور المرئي
ضحكت
وانفرجت شفتاها عن برقٍ لماعٍ

صافٍ
كان يؤانس وحدتها
قالت: تجلس أمْ تأكلُ من خبز النشوة؟
لا...
هأنذا أصنع فنجان القهوة بالضوء
وأسدل فوق الجدران أشعة شمسٍ من قلبٍ يتفتت حرقًا
حرقًا
ظلت تكبر يومًا يومًا
حتى شب حريق النار بجسمي الناحل
واستُشهد في قلبي طير أخرس
أزهار الرغبة ماتتْ
وانفلتت أنهار النور بعيداً
جفت واحترقت
وأنا أتفتت كنباتٍ جبلي خادعة القطر ولم تنزل
غيمات الله عليه
وأفتح بابي كي أدخل...
دعني أتوضأ وأصلي
فأنا عاشقةٌ لنهارٍ لم يطلع بعدُ
وأرضٍ لم يمش فيها أحد من قبلُ
وطفل
سواه الله بريق الضوء
وخيلٍ تركض نحو الغابات الخضرا
من وديان الأرض المجهولة
في رحلة حبٍ لا تكملُ أبداً
عاشقة لصباحات النشوة
والوجد
وحاول أن يتكلم...
غلقت الباب حواليه
انكشفت أسرار وسراديب لمدائنَ لم يدخلها من قبل

وأغلق عينه طويلاً كي يبصر
لكن لم يلمس شيئـًا
أغلق ثانية عينيه...
انفتحت حجب ودهاليز كانت خافيةً
ها هي أصداف
ولآلئ
ونوارس تتنقل فوق شطوط الماء الرائق
غلمان يغتسلون بضوءٍ صافٍ
ويمرون خفافـًا
أكواب من فضة شمسٍ
وقوارير من ذهبٍ خلابٍ للأبصار
وأخاذٍ للأنظار
وقطفات من ضوءٍ زاهٍ
بسط من سندس
وأباريق من فضة ماسٍ
يحملها الولدان
وعسل من شهدٍ يتقطر كالبللور
فمنْ يدخل يشرب
من يطلب يأخذ!!

[الآن فليسمع ختام الأمر كله في الليل على فراشي طلبتُ من تحبه نفسي طلبتهُ فما وجدتهُ أني أقومُ وأطوفُ في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلبُ من تحبه نفسي طلبتهُ فما وجدتهُ وجدني الحرسُ الطائفُ في المدينة فقلت أرأيتم من تحبهُ نفسي؟ تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرتهُ حلوة لحلقي اسندوني بأقراص الزبيب أنعشوني بالتفاح فإني مريضة حبـًا أنت جميلة يا حبيبتي ومرهبة كجيش بألوية إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال ارجع آه... حبيبي مدَّ يده من الكوة فأَنَّت عليه أحشائي].

طواف

ها هو دهليز يتلو دهليزاً
سرداب يتلو سردابـًا
أجنحة لملائكة بيضٍ ترقص وترف حوالينا
شجَّرني الضوء
وبللني القطر الغياث الهاطل
وانبلج الفجر الليلي
وضخت شمس العشق أشعتها
من ينقلني من سبحات النجم
ويربط بالأحجار الغيمة؟
هدأ البحر اللجيُّ الصخاب فمن يدخل يغرق فيه
ومن يخرج
يضرب في الأرض جنونـًا ويتوه
السيدة الآن انكشفت
لكني لم ألمسها
لم أدنُ من شهد أنوثتها
شجَّرني ضوء يركض
ونوارس تتأبط صارية السفن الغرقى
قبرة تسكن داخل قلبي
أزهار تتفتح
تتفتق عن أكمام تنضح بعطور المسك الهوام
وحبات الريحان العابق
هذي امرأة تعرف سر أنوثتها
وتداجي الليل القناص الداغل في لجج السهوة والنشوة
ثم تمر على أجران الملح المتكوم في أرض البور
تصفق لعصافير البوص البري
وأعواد النعناع الأخضر
والحامول

وتقطف من سهل الحنطة سبع سنابل خضراء
وتطعم من يتبعها
لكن
من يتبعها؟؟
من يتبعها غير عصافير الماء
وأفراس الحلم
ونخلات الضوء
أفر بعيداً عن سيدتي علّي أبصرها
والوقت قصير جداً
في هذا الزمن المتسلط كالسيف
أجزُّ الوقت
ومزقًا من شريان القلب
وبعضًا من أضلاعي
ثم أعرش بيتًا للسيدة الساكنة هناك على ضفاف الأنهار
تجاه الأكواخ المبثوثة
في قلب الأرض وصحراء الصيف
وها هي تدنو فأراقبها
نجم فضي يحرس خطوتها ويتابعها
في حركة تجوالٍ أبدي
أدنو
أدنو
أدنو
لكن الأجناد تمانعني
وتسمر خطوي بالشوك النفاذ المسنون كجلد القنفذ
أرتد بعيداً
أتململ في جولاتي الليلية
أتحين سهو الوقت
لكي أنسل إليها في مخبئها الزهري
أحادثها وتحادثني

والحراس المنتشرون كجرذان القمح تراقبني
أتضور عشقـًا
أتشقق كالصخر الناري بوادي الجن
حاولت مراراً أن أقفو خطوتها
أترصدها
كانت شهب مارقةً تلمع
حارقةً تترصدني
فأتابع تجوالي فوق الوقت المسموم المرّ
وأنعس قربٍ صخيرات الموت
وناداني صوت يهتف بي من غور السكرة فأفقت
أفقت..
كانت سيدة الضوء تُقرب مني
غشَّاني وسن قهار قاهر
فاستصرخت
وناديت عليها ما ردت
كلمت الريح النقالة لم تسمع
وأشارت أن تدخل قلبي
فانسدت طرقٌ
وتدحرج صخر – في عرض النهر السيال –
وأعرض طير
ونأت خيل
وبقيت أساوم نفسي
ساومت
وساومت
وساومت..
اشتدت ريح عاصفة صرصرْ
وانهمر الماء المخضوضرُ
بدماء الرمل
اجتاحت خيل مدنـًا كانت ساكنة من قبلُ

وزلزلت الأرض
عيونـًا كانت تتفجر
والسيدة الخضراء تراقبني من شرفتها الفضية
أشلاء التوت مبعثرة
تستضحك وتلم ملاءتها البيضاء حواليها
يتقافز طير في جلستها
جسد يرتد عليها يخرج من صحبتها
وينادم أشجار الصبير
القائم في وحدته
ها هي ريح من حنطتها تأتي وتهب
فأرتد بعيداً
ينسرب الحراس
وأدخل مسكنها الصيفي
أناديها
وتناديني
كانت سنوات ميتة من قبل أراك
وأرض لم تؤت
أكلاً
طير يهجر وطنـًا كان يساكنه
ويميم شطر الغيم
مليكة
تفتح شرفتها لعصافير الماء
وأشجار اللؤلؤ
والنارنج المتفتح في وقد الصيف
وتفرد شمس أشعتها كي يدخل ضوء
تتراكض أفراس الماء حواليها
وتفر فراشات كانت ساكنة في شرنقة الصمت
وترقص حول الوجه المستعصم
بالضوء

وها هي آخر أجناد الأرض
تفر..
مليكة
تغزلُ بيديها سرر النوم
لفارسها المتوحد بامرأةٍ يعشقها حد الموت
وأفراس الأرض
تمر..
وتتركها في شرفتها
جالسة تترقب
وتفر الدمعات اللؤلؤ كاشفةً
عن وجدٍ مسجورٍ
في غرفات القلب الملآن بوحل الأرض
وجلد الفقراء
المطروق بأسنان الشمس الحراقة
كانت ترقبني
بينا
أتهيأ لرحيلٍ فجري آتٍ
تتساءل في دهشة طفلٍ بري
– مثل خيول الضوء
وأفراس الحلم –
ألملم بعضـًا من أشجار الملح وحبات الخروع
والنعناع الأخضر
والصبير المتطاول فوق جسور الترع المصقولة
بنباتات الماء
وأرويها بالدمع الهطال
لمزن القلب
فتكبر
وتصير قلاعـًا وبلاداً
هأنذا أرحل في غبش الفجر

أراقب شمسـًا
تتفجر من خلف تلال السحب الداكنة اللون
وأربط أفراسي بطيور الماء
وأزرع بعض شجيرات الحنطة
خلف الدار المأهولة بالجوع
وأوصى بسقايتها
حتى تأتي بعض سحاباتٍ حبلى
فتساقيها
ومليكة
هذي العاشقة المعشوقة تغمزُ ليْ
ويفر يمام البر إليّ
يحمِّلني جزءاً من غيم رسائله
يتصاهل حولي وينط
هل تشرب كأسـًا يا محبوبي؟
لا
أنا لا أسكر
لكني أسكن في نذر الوقت
وأبدأ رحلة صيفي تذكاراتٍ نحو الأهوار المسكونة بالأسماك
الخلجان الممتدة بين البحر وبيني تذكارات
صبري تذكارات
وموتي تذكارات
ورایاتي البيضاء المشرعة هنالك فوق موانٍ الغربة
والترحال طويلاً
تذكارات
وأشجار الحنطة
والسعد
وأوراق الحور السامق تذكارات
وشاراتي تذكارات
أنا الآخر تذكارات

اقتربت ساعة موتي
وانشق القمر الأخضر – فوق صحاري العشق العطشى –
قامتْ واستلقت
فوق أريكتها الخضراء
وها أنتَ بدأت تعاند نفسك
تدخل في أبراج اليأس
وتخرج من أفناء الحلم
– وكان الفجر يمر علينا
يقسم بالنجم
وموطنه
يلقى بأوائله...
ثم يعاود نحو البحر مسافته –
هل تشرب شيئًا يا محبوبي
وأنا أسقيك
وأملأ كأسك من خمر النشوة والصبوة؟
لا؟
أنا لا أشرب
لكنى أبحث عن شيء لم أعرفه من قبل
وأبحث عنكِ
وساقية النهر تدور
تدور
تدور
وأرضي عطشى
ومدائن قلبي
لم يغرس فيها أحد من قبل شجيرة
لم يسق أحد فيها بذرة فل
كي يستروح فيها الرحل والركبان
– في تلك الوديان المقفرة الجمرة –
والأيل المحرور الهارب

من وقد الشمس اللسَّاع
آهٍ
قلبي يشتاق إلى نبعٍ يروي عطش الصحراء المتشقق
ما أصعبً ما تطلب يا عبد الله..!!
استضحك عبد الله وغادر مرفأه
في عين الشمس الحمئة
وامتدت سفن كانت راسيةً
بموانئ آفلةٍ
وأشار إلى النخل الراسي قرب عشيبات الحقل
أن انثر جمارك فوق الأرض البور
وأفرط من قلبك رُطبًا
لجيوش النمل المخبوء بسكنات الصخر
وكحل كل عيون الفقراء بشهدك
فاهتزَّ النخل
ارتعشت أرض كانت هامدةً
وربت جزر
- يملؤها دود الوقت
وغسلين القرح -
وأوراق زهر كان يساكنه الموت
وهلل طير الوقواق على مدنٍ كادت تنسى في حضن الشمس
النوارة
ثم أشار إلى الريح
بأن تدنو
وتلاقح أعواد الحنطة
وشجيرات الجميز
وأزهار الليمون
اندفعت ريح صافية حبلى
فوق شواشي النخل
اندلعت نيران الصحو

فأروق في عتبات الجسد / الموت
النور المتهدل من جنبات الغيم
وها هي ريح تغشي الأرض
فيهلك نسل
وتفز رءوس تحت جدار البحر العاطش
وأشار إلى النار
بأن تفرد فوق الأرض
ملاءتها
سحب راكضة
نزلتْ
فوق بلادٍ آفلةٍ
وامتدت شرفات الحلم
على أجران القمح المنثور بأحراش السهل
وها هي مدن تطوى
يعروها
شبق
فتاك
للضوء المارق
من يمسك بشرار النار
ويحمل في القلب مسرتها
ويصاحب ومضًا لبروق الليل
الدفاقة
حتى يغدو أفقًا
من صيفٍ
فوق بلاد الجوع الصائف؟
ثم يعاود رحلته
منتظراً
أن تأتي هذي السيدة الخضراء
تبلل عطشًا

يتشقق كالجرح
وجرحـًا يتمزق كالصخر
وها هو صرح يتمدد من لجج الماء
وفيض الياقوت الأحمر
وزمردة تتلألأ في البهو
الصاخب
ومليكة
تدنو
تدنو..
هل شاهد عبد الله الرؤيا؟
صرح يدخل فيه
زهور تتفتق في الجنبين
نمارق تصطف
على سُرر الماء
أباريق يحملها الولدان
فتتلألأ بالخمر المعتوق
تحط عليه النشوة
فتؤاخيها
ويؤاخيه
مليكة
هذا وقت للحب
ووقت للتوهان بأرض الصبوة والعشق
اقتربي
واقتربي
واقتربي
فاضت كأس السكرة من شفتيّ
وأورق في أضلاعي
وقد الجمر
انشقت أرض كانت هامدةً

طلع زاهٍ
يتطاوح في لجج الوقت
ويعلو
كمدى سرمد
اقتربي أيتها السيدة الخضراء
اقتربي
أيتها السيدة الخضراء
فعبد الله الأخضر
قد شاهد واسترق السمع
مليكة
هذي السيدة الخضراء
امرأة تعرف سر أنوثتها
وتداجي الليل القناص الداغل في لجج السهوة
والنشوة
ثم تمر على أجران القمح المتكوم
في أرض الجوع
تصفق لعصافير البوص البري
وأعواد النعناع الأخضر
والحامول
وتقطف من سهل الحنطة
سبع سنابل خضراء
وتطعم من يتبعها.